مجلة جامعة الملك سعود، م ٢١، السياحة والآثار(٢)، ص ص١١٩- ١٤٧ الرياض (٢٠٠٩م/ ١٤٣٠هـ)

"منطقة عسير في عصور ما قبل التاريخ [١] - دراسة حضارية في ضوء المخلفات الآثارية".

مسفر سعد محمد الخثعمي [*]

أستاذ مشارك/ قسم العلوم الاجتماعية/ كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية/ جامعة الملك خالد

(قدم للنشر في١٥/ ١/ ١٤٢٩هـ؛ وقبل للنشر في١٤/ ١١/ ١٤٢٩هـ)

ملخص البحث. بدأت فكرة هذا البحث من خلال المسوحات الميدانية التي قام بها الباحث لكافة محافظات منطقة عسير، من أجل حصر وتوثيق آثار المنطقة وكان ذلك بتكليف من معالي مدير جامعة الملك خالد، وبتوجيه من صاحب السمو الملكي الأمير/ خالد الفيصل أمير منطقة عسير سابقاً، وقد تشرفت برئاسة فريق العمل الذي شُكِّلَ لهذه المهمة، وقد أسفر عمل الفريق عن كشف عدد من المواقع الأثرية التي تنتمي لحضارة العصور الحجرية والتي لم يكشف عنها من قبل، الأمر الذي شجع الباحث على إجراء هذه الدراسة التي آمل من خلالها أن أكون قد وفقت في تقديم معلومات جديدة عن ثقافة العصور الحجرية في هذه المنطقة.

هذا، وتشغل منطقة عسير حالياً مساحة واسعة نسبياً فهي تمتد من ساحل البحر الأحمر في الغرب إلى أطراف الربع الخالي وإمارة منطقة نجران في الشرق ومن حدود منطقة جازان والحدود الدولية مع الجمهورية العربية اليمنية في الجنوب، إلى حدود منطقة مكة المكرمة، والباحة، والرياض في الشمال[٢]، وهى تضم بهذه المساحة عدد من البيئات الطبيعية المختلفة التي من المؤكد أنها قد أسهمت في تنوع النشاط الاقتصادي لسكانها. ويتكون سطح عسير من أربع مناطق مختلفة هي:

أولاً: منطقة السهول الساحلية الموازية لامتداد البحر الأحمر، وأراضيها رملية شديدة الحرارة والرطوبة، لكن موقعها على الساحل جعلها ذات موقع استراتيجي هام خصوصاً أن البحر الأحمر كان وما يزال حلقة وصل مهمة بين المحيط الهندي والبحر المتوسط، ولهذا قام على سواحله الشرقية والغربية عدد من المراكز والموانى التجارية.

(١) لم تحظ عصور ما قبل التاريخ في منطقة عسير بدراسة تفصيلية من قبل الباحثين والمهتمين بهذا الجانب وهذا ما دعا الباحث إلى محاولة إلقاء الضوء على هذه الفترة مستعيناً بما تم اكتشافه من أدوات تنتمي إلى تلك الحقبة، ومحاولة مقارنتها بالأدوات المماثلة التي اكتشفت في المناطق المجاورة سواء داخل الجزيرة العربية أم خارجها.

(*) عميد كلية المجتمع ببيشة، وأستاذ التاريخ القديم المشارك بقسم العلوم الاجتماعية-كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية، جامعة الملك خالد -بأبها- المملكة العربية السعودية.

(٢) راجع حدود عسير حالياً على الخريطة رقم(١).

ثانياً: منطقة الإصدار: وتمثل الواجهة الغربية من مرتفعات عسير وتتميز بطبيعتها الوعرة.

ثالثاً: منطقة المرتفعات الجبلية: التي تشكل امتداداً لمرتفعات السروات وتعرف بسراة عسير.

رابعاً: منطقة الهضاب والسهول الشرقية: وهي أكبر مناطق عسير مساحة.

وقد أدى التباين الكبير في الطبيعة الجغرافية لمنطقة عسير إلى حدوث تنوع واسع في ظروف المناخ، ومن الطبيعي أن ينعكس هذا التباين التضاريسي والمناخي، على أنماط الحياة المختلفة بالنسبة لسكان هذه المنطقة(عبده، ١٩٨٨م).

وتؤكد لنا الأدلة الأثرية التي تم اكتشافها حتى الآن، أن الإنسان الأول قد استوطن منطقة عسير على نطاق واسع قبل مئات الآلاف من السنين(الزيلعي وآخرون، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م). ومن المحتمل أن ذلك الاستيطان كان منتشراً إلى أبعد مما توحي به الدلائل المادية الحالية و مما تقدمه لنا من انطباع في هذا الاتجاه، ومن المعلوم أن الوجود الأول للإنسان قد ظهر في قارة إفريقيا وبخاصة في الجزء الشرقي منها، وتعد منطقة «حدار» في إثيوبيا من المواقع المبكرة التي عثر فيها على أدلة أثرية للوجود الإنساني، بالإضافة إلى بعض المواقع المماثلة في منطقة شرق بحيرة «تركانا» ، ونهر»أومو»، وقد أرخت بعض هذه المواقع بأكثر من مليونين ونصف المليون سنة خلت (Haviland، 1997.). وإن كان موقع" أولدفاي قورج" في تنزانيا يعد من أهم مواقع العصور الحجرية في العالم نظراً لاحتوائه على طبقات أثرية(Stratigraphic Sequence) تعد الأطول في العالم من حيث التسلسل، إذ يصل عمر أقدمها إلى ما يقارب من مليوني سنة تقريباً، وتحتوي هذه الطبقات على بقايا عضوية كالعظام البشرية والحيوانية، بالإضافة إلى بعض الأدوات الحجرية التي استخدمها إنسان تلك الفترة(الأمين، ١٤٢٤هـ/ 2003م) Leakey،1979;). وإن كانت الدراسات الحديثة تؤكد على أن الوجود البشري في العالم يفوق التقديرات الأولية لمواقع الاستيطان في كثير من المواقع الأثرية [٣].

---

(٣) تشير بعض الدراسات الحديثة إلى أن الوجود البشري المبكر في أجزاء متفرقة من العالم القديم يفوق التقديرات الأولية لمواقع الاستيطان في عدد من المواقع الأثرية، الأمر الذي يدعو إلى إعادة النظر في وضع منطقة جنوب غرب آسيا ضمن خريطة انتشار السلالات البشرية المبكرة، خصوصاً وأن الموقع الجغرافي لهذه المنطقة يتوسط العالم القديم، وتذهب هذه الدراسات إلى القول باحتمال وجود مزيد من الأدلة الأثرية الدالة على الاستيطان البشري المبكر. ونحن نتفق مع هذا الرأي خاصة فيما يتعلق بالمملكة العربية السعودية والتي ما تزال التنقيبات الأثرية فيها في مراحلها الأولى، كما أن المسوحات الأثرية لم تغط كافة أجزاءها، مما يبعث على الاعتقاد بإمكانية وجود أدلة أثرية جديدة تغير مفاهيمنا عن تقسيمات العصور الحجرية في المملكة العربية السعودية. وتضيف هذه الدراسات– اعتمادا على رأي بعض الباحثين– أن وصول الجماعات البشرية إلى قارة آسيا بصفة عامة، والجزيرة العربية بصفة خاصة، تم عبر طريقين رئيسيين: الأول، كان عبر شبه جزيرة سيناء، والذي ربما نجم عن ضغوط بيئية أو غيرها، والثاني، يرجح أن تكون الجماعات البشرية المبكرة، والتي عادة ما تتكون من مجموعات قليلة العدد، قد تمكنت من الوصول إلى الركن الجنوبي الغربي من الجزيرة العربية عبر مضيق باب المندب، ومن المعلوم أن الدراسات الحديثة قد دلت على أن الإنسان ظهر لأول مرة على وجه الأرض في جنوب إفريقيا ثم أخذ ينتقل تدريجياً وببطء شديد نحو الشمال، ولم يصل إلى الشرق الأوسط إلا منذ نصف مليون سنة، عن هذه الدراسات انظر:(الشارخ ، يوليو٢٠٠٣م/ جمادى الأولى١٤٢٤هـ ؛ برامكي١٩٧٨).

وقد مرت الجماعات البشرية في عصور ما قبل التاريخ بمراحل عدة، ويعد التنقل المتواصل لهذه الجماعات عبر الفترات المبكرة من عصور ما قبل التاريخ أحد العوامل الأساسية التي أدت إلى نجاحها في الحصول على الموارد الغذائية الكافية، والبحث عن البيئة المناسبة التي تتوفر فيها مقومات للحياة والأمن الغذائي. وهناك من يشير إلى أن تحقيق هذا الهدف كان يتطلب من المجموعة أن يكون عددها قليلاً نسبياً ليسهل تأمين احتياجات المجموعة والمحافظة على سلامتها من المخاطر الطبيعية، ومن خطر الحيوانات المفترسة، والجماعات البشرية الأخرى(برامكي، ١٩٧٨م ؛ عبد العليم، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ؛ الشارخ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م). ولعل خير ما نفعله في سبيل التعرف على مراحل وجود الإنسان وتدرجه الحضاري، وانتقاله من عصر إلى عصر هو أن نصحب منذ الوهلة الأولى علماء عصور ما قبل التاريخ الذين كشفوا وحللوا لنا رسوم الكهوف وصور الصخور التي تظهر الإنسان وهو يطارد الحيوانات ويقتنصها(عبد العليم، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م) ؛ الشارخ،١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، وكان صيد الحيوانات من أجل الحصول على القوت الضروري أهم أهداف مجموعات الصيادين وجامعي الغذاء خلال أزمنة عصور ما قبل التاريخ(عبد النعيم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

ونظراً إلى بساطة النمط المعيشي للجماعات البشرية في الفترات المبكرة من الحضارة البشرية فقد عمد الإنسان إلى استغلال ما كان يتوفر في بيئته من موارد طبيعية، فاستخدم مادة الحجر والخشب وعظام وقرون وأنياب الحيوانات والقواقع وغيرها من المواد التي تدخل في صناعة ما كان يستخدمه من أدوات في سبيل الحصول على قوته اليومي، أو للدفاع عن نفسه وعن مجموعته من خطر أخيه الإنسان، وشراسة بعض الحيوانات والزواحف، أو لتهيئة الأماكن التي كان يلجأ إليها هروباً من قسوة المناخ (الشارخ،١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

وقد ركزت الجماعات البشرية في صناعة أدواتها على مادة الحجر، ويعود السبب في ذلك إلى توفر هذه المادة في كل المواقع الاستيطانية، بالإضافة إلى كثرة الاستخدامات المتعددة للحجر من ناحية، وقدرته على مقاومة الظروف البيئية المختلفة من ناحية أخرى، وهذا بخلاف المواد العضوية التي تتحلل وتندثر قبل أن تترسب في طبقة أثرية. ومن هنا فقد شكلت مادة الحجر العنصر الأساس لدراسة عصور ما قبل التاريخ، إذ أنها المادة الرئيسة التي يعتمد عليها علماء عصور ما قبل التاريخ في تصنيف حضارات العصور الحجرية(الشارخ ،١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م). ولذلك نسبت تلك العصور إلى هذه المادة الفعالة التي كان لها دوراً بارزاً في تطور الحضارات البشرية المختلفة.

ولم يقف إنسان تلك الأزمنة عند ذلك الحد، بل نجده قد صوّر نفسه وهو يرقص رقصة المطر، وصَوَّر الإنسان في تلك الرسوم -أيضاً- صوراً متعددة من الطقوس الدينية وتبجيل المعبودات، وسطر الإنسان فيما بعد إلى جانب رسوماته على واجهات الصخور

تفاصيل حياته ومشاهد مما كان يعتريه من لحظات الحزن والفرح. ونمضى مع نشاط الإنسان الأول، ومع علماء عصور ما قبل التاريخ الذين أبانوه لنا سواء عن طريق تفسيرهم للرسوم الصخرية أم عن طريق ما استخرجوه لنا من باطن الأرض من بقايا عظام كشفت عن أنواع الحيوانات التي تمكن الإنسان من تدجينها، أو بقايا من أنواع النباتات التي استطاع استنباتها. فأحدث بعمله هذا انقلابا جذريا في طبيعة العلاقة بينه وبين بيئته، وتمثل ذلك في التحول -أي الانتقال- من مرحلة الصيد وجمع الغذاء إلى مرحلة إنتاج وتوفير غذائه، إذ أصبح الإنسان منتجاً ولم يعد عالة على الطبيعة كما كان الوضع في السابق(برامكي، ١٩٧٨م).

وكان من نتائج هذا التطور أو الطفرة الحضارية أن اهتدى الإنسان مع بداية العصر الحجري الحديث (Neolithic Age) إلى بداية حرفة الزراعة التي ترتب على الاشتغال بها الاستقرار وزيادة التماسك بين الأفراد والجماعات في إطار الأسرة ثم القبيلة ثم القرية. ومن نتائج هذه التحولات الحضارية أيضا ظهور حرفة الرعي بعد أن نجح الإنسان في تدجين وتربية الحيوان(صالح، ١٩٨١م)؛ الصويان، ١٩٩١م).

غير أن الحدث الأهم في حياة الإنسان الأول هو نجاحه في توظيف عقله مما أدى إلى اكتشاف النار(كمال، ١٩٨٦)، ثم توالت اختراعاته واكتشافاته. فبعد أن كان يصنع من الحجر والخشب أسلحته التي كان يستخدمها في مطاردة فرائسه، وفى صنع غذائه، وفى قتل عدوه، أفلح في التعرف على معدن النحاس، ثم بعد ذلك كيف يخلطه بالقصدير ليصنع سبيكة من البرونز كانت أشد وأقسى من النحاس، وليصنع من هذا البرونز أسلحته وأدوات استخدامه(كمال، ١٩٨٦). هذا، ونعرض فيما يلي لأهم مراحل تطور حياة الإنسان الأول عبر عصور ما قبل التاريخ [٤].

تقسيم العصور الحجرية

تشير الدراسات التي عُنيت بعصور ما قبل التاريخ في منطقة العالم القديم، والتي تمت على مدى أكثر من قرن ونصف القرن من الزمان على فاعلية التقسيم العام لفترات العصور الحجرية، والمتمثلة في العصر الحجري القديم، والعصر الحجري الأوسط، والعصر الحجري الحديث. وتعود معرفتنا بهذه التقسيمات إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وإن تعرضت هذه التقسيمات لاحقاً إلى بعض التعديلات والتفريعات نظير اكتشاف علماء العصور الحجرية لبعض الأدلة الأثرية الجديدة التي قدمت لنا معطيات تختلف عما كان سائداً حول تقسيم هذه العصور(لمزيد من الدراسة والتفصيل، انظر: دانيال غلين،٢٠٠٠م).

---

(٤) يذهب البعض إلى أن هناك إشكالية واضحة فيما يتعلق بالمصطلحات المرتبطة بفترات العصور الحجرية، التي سادت على أرض المملكة العربية السعودية، خصوصاً أن بعض الباحثين الذين سبق لهم العمل فيها كان متأثراً بالتسميات السائدة في أجزاء أخرى من العالم، وهذا بدوره قد انعكس على المفاهيم التي تعكسها هذه التسميات عند تسمية حضارات محلية بها، عن ذلك انظر: الشارخ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

وما من شك في أن هذه التقسيمات كانت ناجحة في البداية، وقد بصرتنا بتسلسل الحضارة الإنسانية، استناداً على أوجه الشبه والاختلاف بين المكتشفات الأثرية، وبخاصة الأدوات الحجرية، ومع توسع العمل الميداني خارج أوربا كإفريقيا وشرق آسيا أصبح هناك صعوبة بالغة في قبول هذه التقسيمات كما هي سابقاً. وتدريجياً أخذت هذه التقسيمات في الاضمحلال وحل محلها مسميات جديدة مأخوذة من البيئات المحلية التي وجدت فيها٠ الشارخ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م). كما أدى تكاثر الدارسين والمهتمين بدراسة عصور ما قبل التاريخ، إضافة إلى اكتشاف عدد من المواد الأثرية التي قدمت لنا معطيات حضارية جديدة، مع وجود تباين بين هذه الأدوات من منطقة لأخرى، إلى جعل العلماء حذرين فيما يتعلق بتطبيق هذه التقسيمات على كل مناطق العالم القديم، ونحن نجد هذا التباين في المنطقة الواحدة ففي جنوب غرب آسيا الذي تعد الجزيرة العربية جزءاً منه نجد أن التقسيم الأوربي للعصور الحجرية يبدو ملائماً لبعض الأدوار الحضارية في منطقة بلاد الشام، والتي تتشابه مع مثيلاتها في شمال الجزيرة العربية بحكم اتصالها بها جغرافياً، فحين أنها تختلف عن الأدوار الحضارية للمناطق الداخلية من الجزيرة العربية، الأمر الذي يجعل استخدام التقسيمات الحضارية المعروفة في شمال الجزيرة العربية غير ملائماً، وهذا يدعوا إلى ضرورة النظر في قضية التقسيمات الحضارية للعصور الحجرية في المملكة العربية السعودية (الشارخ ،١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

أولا: العصر الحجري القديم (Paleolithic) Age:

شهد العصر الحجريَ القديم بواكير النشاط الحضاري للإنسان البدائي في المناطق الصالحة للإقامة في العالم القديم. ويعد من أطول مراحل حياة بنى البشر حيث يمثل ما يقرب من ٩٥٪ من عمر الإنسان على وجه البسيطة(الصويان، ١٩٩١م)، وتمثل هذه المرحلة المحاولات الأولى لتكوين الجماعات البشرية من الصيادين وابتكاراتهم البسيطة المتمثلة في تشكيل الأدوات الحجرية وممارسة الصيد(الأمين، ٢٠٠٣م). وتمكن الإنسان الأول عبر الأزمنة المديدة لهذا العصر من صناعة بعض الأدوات البسيطة عن قصد وهدف، واعتمد في ذلك على أدوات حجرية بدائية شَكّلها بيده لكي تلبى مطالبه وحاجاته المحدودة(٥). كما استخدم الإنسان إلى جانب الأدوات الحجرية أدوات أخرى كان قد صنعها من فروع الأشجار، ومن عظام الحيوانات الضخمة النافقة، ومن قرونها وأنيابها، كما استخدم الأصداف البحرية حيث كان يجدها، غير أن استخدامه لهذه الأدوات مجتمعة كان أقل من استخدامه للأدوات الحجرية(صالح، ١٩٨١م).

---

(٥) يعد الحجر نقطة الانطلاق فيما يتعلق بالثقافة الإنسانية، فقد بزغ فجر الإنسانية حينما تمكن الإنسان الأول من معرفة سر الحجر، وبدأ في استخدامه بشكل تدريجي، ومن هنا يمكن القول أن الحجر والإنسان قد عمل كل منهما على تشكيل الآخر، فطور الإنسان صناعات واستخدامات الحجر، وطورت هذه الصناعات من مهارات وقدرات الإنسان في التعامل مع بيئته، وفي الحصول على معاشه وتلبية حاجاته، عن ذلك انظر: صالح، ١٩٨٦م) ؛ الصويان، ٢٠٠٣م) ؛ الشارخ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

وطوال هذا العصر المديد، ظل الإنسان يمارس حرفة الصيد لمئات الآلاف من السنين(الزيلعي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، غير أنه بدأ في محاولات عدة لتطوير الصناعات الحجرية التي كان يستخدمها لكي يجعلها ترضي ذوقه بعد أن أرضت مطالبه فلجأ إلى تصغير سمك وحجم هذه الأدوات، التي عرفت باسم الأدوات الدقيقة، ليرفع من كفاءتها ويخفف من ثقلها ليسهل عليه حملها(صالح، ١٩٨١م). ولذلك قسم علماء عصور ما قبل التاريخ العصر الحجري القديم إلى ثلاث مراحل رئيسة استناداً إلى الشكل، وأسلوب الصناعة مع ترتيب مجموعات هذه الأدوات ترتيباً زمنياً بشكل يبرز التطور الذي طرأ على هذه الصناعات منذ بداية العصور الحجرية حتى نهايتها. أما عن هذه التقسيمات فهي:

١ – العصر الحجري القديم الأسفل[٦] Age (Lower) Paleolithic

يمتد هذا العصر لفترة زمنية طويلة، وإن اختلف العلماء في تحديده حيث قدر البعض بداياته بمليوني سنة تقريباً، بينما قدره آخرون بمليون سنة(الجرو، ١٩٩٦م) ، وهنا تم استيطان منطقة عسير منذ أزمنة موغلة في القدم تعود إلى بواكير العصر الحجري القديم الأسفل، ولذا فإن أراضيها تحوي كثيراً من المعثورات الحضارية التي تنتمي إلى الفترات الزمنية لهذا العصر. ويبدو ذلك في مختلف مناطق عسير، إذ لا توجد محافظة من محافظات منطقة عسير تخلو من المستوطنات أو الآثار الأخرى التي تعود إلى حقبة العصر الحجري الأسفل[٧]. وتشير المكتشفات الأثرية الحالية التي عثر عليها في جهات مختلفة من منطقة عسير إلى أوجه الشبه مع تلك التي وجدت في المناطق المجاورة في غرب أسيا، أفريقيا، أوروبا والهند (Zarins،1981). ويقسم الباحثون هذا العصر وفق معطياته الحضارية إلى قسمين متعاقبين، هما:

أ) الثقافة الألدوانية (Oldowan Culture)[٨]: إذا ما تفحصن الباحث تقارير المسح الأثري الذي أجري في بعض جهات منطقة عسير فإننا لن نعثر على أي أدوات تتماثل مع أدوات الحضارة الألدوانية، وإن كان عثر على موقع وحيد على ضفاف وادي تثليث بالقرب من خندق صغير شرق الوادي الرئيس، يحتوي على مجموعة من الأدوات الحجرية، وتضم بعض المكاشط والرقائق والقطع المدببة التي لا تحمل سمات الحضارة الألدوانية، كما أنها لا تتوافق مع الأنواع الآشولية المعروفة(Zarins،1981). وهناك من يعتقد

(٦) هناك من يسميه: العصر الحجري القديم المبكر"، وأنه تم استخدام كلمة "المبكر" بدلاً من "الأسفل" للتمييز بينهما، انظر: عبد الله بن محمد الشارخ، المرجع السابق، ١٨ (*).

(٧) عن آثار منطقة عسير في عصورها المبكرة راجع: مجلة، أطلال، ع٤، (١٩٨٠) ؛ ع٥ (١٩٨١).

(٨) اكتشف لويس ليكي(Lous S.B.Leaky) وزوجته (Mary) مجموعة من العينات والأدوات الحجرية التي اعتبروها من أقدم أنواع الأدوات الحجرية وأبسطها صنعاً في أقدم مناطق سكنى الإنسان وتحديداً في غور أولدفاي(Olduvai) شمال تنزانيا في قارة إفريقيا، ويحتل هذا الغور مساحة طولها خمسون كيلو متراً وعرضها مائة متر، ويربوا عمر الأدوات التي وجدت فيه على مليون سنة وتعود إلى فترة (Villafranchian) مع بداية عهد البلايستوسين. عن ذلك انظر: الصويان، ١٩٩١م ؛ الشارخ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م ؛ الأمين، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

أن هـذه المجموعـة مـن الأدوات الحجريـة سـابقة في زمنها للحضارة الآشـولية (Zarins،19811). ولكن تلك الأدوات لا تـزال بـدون تصنيـف علمي ثابـت يوضح تفاصيلهـا ويحـدد سماتها الحضاريـة. غير أنـه لا يفوت الباحـث أن يشـير إلى أن معلوماتنـا عن عصـور ما قبل التاريخ في منطقة عسير بوجه خاص وفي المملكة العربية السعودية بشكل عام لا تزال في مراحلها الأولى، فأعمال التنقيب الآثارية ما برحت مسـتمرة تعطى لنا معلومات جديدة من حين إلى آخر.

ب) الثقافـة الآشـولية (Acheulien Culture): نسـبة إلى منطقة (Acheule) في فرنسـا والتي عثر فيها لأول مرة عـلى أدوات جديـدة فنسـبت إلى هذا الموقـع وأصبحت تعـرف بـه، وتمثـل الحضـارة الآشـولية الـدور الثاني في تطـور بواكير الحضارة الإنسـانية خلال العصر الحجري القديم الأسفل. ومن أبرز ما يميز هذه المرحلة هو ظهور أسـلوب جديد لتشـكيل الأدوات الحجريـة، إلى جانب ابتـكارات ونشـاطات أخـرى تـدل على تطـور قدرات الإنسان، وانتشار بني البشر في مناطق جغرافية أوسع مما كان عليـه من قبل، بل وقدرته عـلى التكيف مع البيئات الجديـدة، واسـتغلال مواردها الطبيعية بشـكل أفضل(الأمين، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

وامتـازت الأدوات الآشـولية بأنهـا كانـت في بداية الأمـر مثلثة الشـكل، ولها طـرف حاد مـروس ومهذبة مـن جانبين، ولهـذا أُطلـق عليهـا(Biface). وتطور هذا النـوع مـن الأدوات حتـى اخذ في ما بعد شـكلاً يشـبه القلـب، الأمر الذي دعى الباحثـين إلى أن يطلقوا عليها مصطلح(Cordl Form)، وفي أواخر هذا العصر أصبحت هـذه الأدوات مسـتديرة الشـكل وأصبحـت تعرف بـ (Circulaire) (برامكـي، ١٩٧٨م ؛ الصويـان، ١٩٩١م ؛ الشـارخ، ١٤٢٤هــ/ ٢٠٠٣م ؛ Zarins،19811). وقد تميـزت هذه المرحلـة من التاريخ الإنسـاني بظهور أنواع جديـدة مـن الأدوات الحجريـة امتـازت بتطور نسـبي عـن الأدوات التي سـبقتها (صالـح، ١٩٨٦؛ الأمين، ١٤٢٤هــ/ ٢٠٠٣م). ويقسـم الباحثـون الحضـارة الآشـولية إلى ثلاثة عصور، هي: (أولاً)العصر الآشولى المبكـر وقد امتـاز هذا العصر بظهـور الفؤوس وخاصة ذات الأشكال البيضاوية، والقلبية- أي التي على شكل قلب-والحلزونيـة، والمفـارم غـير المشـذبة (Sordinas، 1978). (ثانيـا) العـصر الآشـولي الأوسـط: وقد تميزت صناعاته بالأدوات ثلاثية الرؤوس المسـتدقة[٩] الطرف الرمحيـة الشـكل، وأخـرى ثنائيـة الوجـه، وأدوات مسـتديرة تشبه الكرة، علاوة على مجموعة من السواطير والسـكاكين ذات النصلـين (Zarins،19811). و(أخـيراً) العصر الآشولي المتأخر: وتميزت أدواته بظهور الفؤوس اليدويـة الصغيرة التي صنعت على هيئة قلب أو بشـكل بيضاوي أو أي شـكل متميز آخـر (Zarins،19811).وتم

(٩) يقصد بالرؤوس المسـتدقة: الرؤوس غير(الثلاثية)، فهي قد تكون مستدقة في مقطعها العرضي بشكل تام بكل ما يعنيه هذا المفهوم من معنى، وقد تكون محدَّبة من جهة واحـدة أو من جهتين، ولكنها تدخل تحت هذا المفهوم أيضاً، من حيـث المبدأ، بوصفها غير ثلاثية الأوجـه. وللدقة أكثر في التعبير عن هذه الرؤوس المحدبة، يمكن أن تسـمى المستدقة المحدَّبة من جهـة واحدة أو من جهتين. لمزيد من الدراسـة والتفصيل راجع: المعمري، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥).

تشكيل هذه الأدوات باستخدام المطرقة الخفيفة، ومن ثم تتماثل مع أسلوب الليفالويز(Besancon،1978).

أمَّا عن مواقع فترة الحضارة الآشولية في منطقة عسير، فبالرغم من عدم وجود أدوات تعود إلى الحضارة الآشولية المبكرة إلا أنه تم العثور على عدد من الأدوات التي تعود إلى العصر الآشولي المتوسط، والعصر الآشولي المتأخر، وإن كانت حضارة العصر الآشولي الأوسط أكثر انتشاراً من العصر المتأخر ومن أبرز المواقع في منطقة عسير ما يأتي:

– **منطقة الصبيخة**[١٠]: لقد تم العثور في الجانب الشرقي من الوادي الرئيس، على بعد عشرة أكيال جنوب شرق الصبيخة، على مجموعة من الأدوات الحجرية التي تشمل على فؤوساً رديئة الصنع مصنوعة من حجر الأنديسيت أو الداكسيت وتشابه تلك النماذج التي تمت صناعتها من الريوليت لكنها أصغر حجماً منها (Overstreet،1973 ;1971).

– **منطقة خميس مشيط**: عثر على ثلاثة مواقع تعود لفترة العصر الآشولي الأوسط، و العصر الآشولي المتأخر وذلك في المنطقة الواقعة إلى الجنوب من خميس مشيط، وتضم هذه المواقع مجموعة من الأدوات المصنوعة من الكوارتزيت الحديدي، ومن أبرز هذه الأدوات بعض الفؤوس الحجرية والمفارم ولباب الأحجار والرقائق الكبيرة والسكاكين وأدوات النقش والمسننات(Zarins، 1981)

(١٠) الصبيخة: قرية تقع بالنسبة لمستخدمي النظام العالمي لتحديد المواقع (GPS) بين درجة العرض (٤٤ ٠٥ ١٩ ودرجة الطول ٤٣ ١٩ ٤٣، راجع: الجمعية الجغرافية السعودية،

كما عثر فوق بعض المنحدرات الحجرية المرتفعة التي تشرف على واد بيشة[١١] إلى الجنوب من خميس مشيط على ثلاثة مواقع آشولية تنتمي إلى العصر الآشولي

(١١) وادي بيشة: من أكبر أودية السراة الشرقية على الإطلاق، ويعد من أهم الأودية في المملكة العربية السعودية، ومن أكبرها، نظراً لكثرة روافده، واتساع المنطقة التي تصب فيه ، إذ يمتد حوضه من سفوح جبال رفيدة في أقصى نقاطها الجنوبية الغربية، ويحمل وادي بيشة عدة أسماء بحسب المناطق التي يمر بها، حيث يسمى جزءه الذي يخترق بلاد رفيدة باسم بيشة ابن سالم نسبة إلى ابن سالم زعيم بلاد رفيدة المشهور، ومن أشهر روافده في بلاد قحطان المربع والصوح والصفق ووادي المراغة ووادي عنقة والأخيران من الأودية الكبرى، حيث يلتقيان مع وادي بيشة عند مدينة جُرش التاريخية، وذلك في الطرف الشمالي من هذه المدينة الأثرية، وبعد ذلك يبدأ الوادي في حمل اسم وادي بيشة ابن مشيط ، نسبة إلى ابن مشيط زعيم قبيلة شهران المشهور، وذلك بدءاً من قرية «مسيحل» والتي تمثل الحد الفاصل بين بلاد رفيدة قحطان وبلاد شهران، وتقع على هذا الجزء مدينة خميس مشيط، وفي شمالها يلتقي وادي بيشة بأودية أخرى من أهمها وادي تندحة، ووادي عتود، ووادي أبها، ويبدأ الوادي بحمل اسم وادي شهران ، والذي أصبح يعرف الآن بوادي ابن هشبل نسبة إلى أحد زعماء قبيلة شهران ، وهو الشيخ ابن هشبل شيخ قبيلة بني بجاد، وهم بطون من شهران ، ويتبعهم فخذ العواسج، ويطلق عليهم الآن العواشز وهم تاريخياً من أشراف مدينة جُرش(الخثعمي، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

ثم يطلق على وادي بيشة بعد تجاوزه لوادي ابن هشبل بيشة بعطان، وقد فرق الهمداني بين بيشة المدينة المعروفة حالياً والتي تعرف ببيشة النخل وأحوازها كوادي ترج وتبالة ، وبين بيشة بعطان وفروعها فقال : إن « أعراض نجد بيشة وترج وتبالة « (الهمداني، ١٩٩٠م، ٢٣١) ، وهذا الوصف ينطبق على مدينة بيشة حالياً، ثم ذكر في موضع آخر ما نصه « وجرش في قاع ولها أشراف غربية بعيدة منها تنحدر مياهها في مسيل يمر في شرقيها بينها وبين حمومة ناصية تسمى الأكمة السوداء ثم يلتقي بهذا المسيل أودية عنز حتى تصب في بيشة بعطان « (الهمداني، ١٩٩٠م،٢٢٩– ٢٣٠). وهذا الوصف لجرش وأودية عنز

الأوسط والمتأخر، وتضم الأدوات الآشولية في هذه المواقع مجموعة من الأدوات المصنوعة من الكوارتزيت الحديدي، ومن أبرزها القواطع اليدوية والمفارم ولباب الأحجار والرقائق الكبيرة والسكاكين وأدوات النقش والمسننات (Zarins،1981).

منطقة رجال ألمع: هناك من يشير إلى أن هناك قطعاً قليلة لأدوات بيضاوية ثنائية الأوجه بشكل ملتو كان فيلبى (Philby) قد عثر عليها في موقع "عبيل ألمع" ويرجح أنها تنتمي إلى الفترة الآشولية المتأخرة(عبد النعيم، ١٩٩٥م). والجدير بالذكر أن هذه الأدوات محفوظة الآن بمتحف الرياض ضمن مجموعة فيلبى، والواقع أنه لا يعرف في منطقة عسير موقعا بالاسم المشار إليه من قبل سميث، إلا أن يكون الاسم تصحيفاً "لحبيل ألمع" الذي يقع في نطاق محافظة رجال ألمع، وهذا هو الأرجح.

– **منطقة تثليث**: عثر في وادي تثليث وعند قاعدة هضبة من الجرانيت على موقع ينتمي لفترة الحضارة الآشولية، وقد صنعت معظم أدواته من الصخور الحممية (اللافا) تضم العديد من الفؤوس اليدوية ونوى الأحجار الكبيرة والسواطير والرقائق المصنوعة بالطرق العنيف مما قد يدل على أنها تنتمي إلى حضارة العصر الآشولي الأوسط (Zarins،1981).

– **منطقة ظهران الجنوب**: وفيها تم اكتشاف أدوات صُنفت على أنها من العصر الآشولى المتأخر وتضم فؤوسا يدوية، نوى، مكاشط، مفارم، رقائق (شظايا) صنعت جميعها من الكوارتزيت الحديدي ومغطاة بطبقة سميكة من الرواسب عند ضفة أحد الأودية .وكما أنه في وادي «ثعبان « من المنطقة نفسها عثر على أدوات تنتمي إلى العصر الآشولى المتأخر تضم لباب أحجار، ورقائق حجرية، كما وجد في ذات المنطقة على أدوات أخرى تنتمي إلى الفترة نفسها، وهى عبارة عن مجموعة من السكاكين ذات الأسطح، مفارم، ولباب، فؤوس يدوية ورقائق صغيرة (Zarins،1981)، وتجدر الإشارة إلى أن بعض الفؤوس التي جلبت من منطقة عسير معروضة الآن في متحف الرياض(عبد النعيم، ١٩٩٥م).

– **المنطقة الساحلية**: الواقعة على امتداد المنطقة الساحلية للبحر الأحمر، حيث اكتشف العديد من الأدوات الآشولية في منطقة حقول الحمم البركانية جنوب البرك وشمال الشقيق. وتضم هذه الأدوات مجموعات من الفؤوس اليدوية، مفارم، سكاكين ذات

= تنطبق على ما يسمى اليوم بمحافظة أحد رفيدة ومحافظة خميس مشيط، وأنها فروع لبيشة بعطان حيث يشير إلى ذلك الهمداني بقوله: « فجرش رأس وادي بيشة «(الهمداني، ١٩٩٠م، ٢٣٠) ، ومما سبق يتضح لنا أن بيشة بعطان هي ما يعرف اليوم ببيشة ابن عمير تمييزاً لها عن بيشة ابن سالم وبيشة ابن مشيط وعن بيشة النخل المدينة المعروفة الآن وقد أخطأ البعض في تحديد بيشة بعطان حيث جعلها ما بين وادي بن هشبل ومنطقة البطنة.
ويرفد وادي بيشة عدد من الأودية منها: وادي هرجاب شرق وادي بيشة، ويعد وادي هرجاب فاصلاً بين حوض وادي بيشة وتثليث ، ويلتقي بوادي بيشة بالقرب من الحيفة قبل مدينة بيشة على بعد ٢٥ كيلاً تقريباً إلى الجنوب منها، ومن روافده أيضاً وادي ترج ويصب في وادي بيشة عند قرية الحيفة، ووادي تبالة والذي يرفد وادي بيشة عند قرية الصبيحي، ويبلغ طول وادي بيشة من نقطة البداية حتى نقطة اختفائه في الرمال الفاصلة بين بيشة ووادي الدواسر حوالي (٤٥٠) كيلاً تقريباً(راجع: الخثعمي، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

أسطح ظهرية، رقائق حجرية، سواطير، نوى أحجار وبقايا تصنيع، والت صُنعت جميعها من الصخور الحممية حيث تناثرت فوق شرفات صخرية تطل على البحر الأحمر (Zarins،1981)، وبالتالي فإنه يتبين مدى ارتباط المواقع الآشولية بالنشاطات البركانية التي حدثت في المناطق الساحلية للبحر الأحمر، والتي تعتبر مؤشراً قيماً لمعرفة عمر وطبيعة المجتمعات الآشولية، من ناحية وذات دلالة واضحة في اعتماد سكان هذه المنطقة على المواد الغذائية البحرية بدرجة كبيرة من ناحية أخرى (Zarins،1981).

وعلى أية حال، فإنه من الملاحظ مما سبق أن الكوارتزيت الحديدي قد شكل المادة الرئيسة لصنع أدوات الحضارة الآشولية وذلك لتوافرها في منطقة عسير، سواء في منطقة الجبال أو في وادي تثليث، كما استخدمت أنواع أخرى من الأحجار الطبيعية كالصخور الحممية في صناعة الأدوات الآشولية، وذلك تبعاً لجيولوجية المنطقة.

٢- العصر الحجري القديم الأوسط(الموستيري) (Middle Paleolithic):

يميز علماء ما قبل التاريخ بين هذا العصر وبين غيره من خلال بعض الخصائص الحضارية والشواهد الآثارية التي وجدت في كثير من المواقع في مختلف أنحاء العالم. ويعتقدون أن الإنسان قد حقق خطوات مهمة نحو التنوع الحضاري الإقليمي، وذلك من خلال نجاحه في التكيف البيئي واستغلاله للموارد الطبيعية المتاحة، إلى جانب استمرار الموروث الثقافي وتراكمه (الأمين، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

وتعد هذه الفترة من العصر الحجري القديم الأوسط التي عرفت في شبه الجزيرة العربية بـ «الفترة» المستيرية ذات الطابع الآشولي»[١٢]، من أهم الفترات الحضارية في حقبة ما قبل التاريخ في المملكة العربية السعودية[١٣]. وتتزامن الفترة الزمنية للحضارة الموستيرية في الجزيرة العربية مع ظهورها في أماكن أخرى من العالم(الأمين، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

ويعتقد بأنها استمرت فترة طويلة نسبياً بالمقارنة مع المناطق الأخرى المحيطة بالجزيرة العربية (Zarins،١٩٨١)). وهناك من يفترض أن هذه الفترة الحضارية امتدت في الفترة ما بين ٣٥٠٠٠ – ٧٥٠٠٠ سنة خلت(عبد النعيم، ١٩٩٥م). هذا وقد أدى المسح الأثري الشامل، بالإضافة إلى تقارير بعض الباحثين من أمثال هنري فيلد وسوردیناس واوفرستريت، إلى الكشف عن العديد من مواقع الحضارة الموستيرية في مختلف مناطق المملكة العربية السعودية ؛ ومن الملاحظ أن أدوات هذه الفترة قد وجدت بشكل لافت في الجهات الشمالية والجنوبية الغربية من المملكة، وانحصرت المعثورات في بعض الأدوات الحجرية التي عُثر عليها فوق السطح وقد

---

(١٢) سميت الصناعات الموستيرية(Mousterian Industry) بهذا الاسم نسبة إلى Le Mousterian، وهي عبارة عن مغارة في قرية صغيرة تقع إلى الجنوب من فرنسا(الصويان ، ١٩٩١م).

(١٣) من المعلوم أن الصناعة الموستيرية ذات التقليد الآشولي ليست مرتبطة فقط بالجزيرة العربية، غير أنها من أهم الفترات الحضارية في المملكة العربية السعودية(الأمين، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م ؛ عبد النعيم، ١٩٩٥م).

خلت من المواد العضوية، أو أي مصنوعات ذات قيمة فنية. ويذهب بعض الباحثين إلى القول: أنه مما يزيد الأمر تعقيداً أن الكثير من هذه المواقع يوجد فيها أكثر من مكّون حضاري ؛ إذ تنتشر الأدوات الآشولية مع أخرى موستيرية، ومع أدوات أخرى تنتمي إلى فترات لاحقة من العصور الحجرية، الأمر الذي يؤدي إلى تعقيد الأمور أمام الدارسين والمهتمين(الأمين، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م). وإن كان هناك من يرى أن التاريخ للحضارة الموستيرية في المملكة العربية السعودية لا يزال محل خلاف (Zarins،1981)، وعلى كل حال فإن البحث والتنقيب في مختلف مناطق البلاد ما زال في مراحله الأولية.

ومن المحتمل أن الحضارة الموستيرية قد مرت بمراحل خاصة من التطور وفقا للظروف البيئية والحضارية التي تتميز بها شبه الجزيرة العربية وتعد التقنية الموستيرية أبرز سمات الصناعات الحجرية لمواقع العصر الحجري القديم الأوسط في المملكة العربية السعودية (عبد النعيم، ١٩٩٥م). وفى المنطقة الجنوبية الغربية منها، تم العثور على مواقع عديدة تنتمي إلى حضارة هذا العصر، حيث أمكن تحديد نوعين من الصناعات: النوع الأول يتميز بوجود صناعات ذات سمات آشولية، وهى الصناعات الموستيرية ذات الطابع الآشولي. وتتميز صناعات النوع الثاني بمجموعة من الأدوات المصنوعة بأسلوب اليفالوايز وتشمل تلك الأدوات المشحوذة الشظايا وكمية كبيرة من المكاشط بأنواعها المختلفة، وبعض المناقيش، والرؤوس، والمثاقب، إضافة إلى قليل من الفؤوس اليدوية في بعض المواقع انظر(اللوحة رقم١). وتوجد أدوات هذا العصر فوق المرتفعات بالقرب من الجبال والخوانق التي تشرف على الأودية والسهول (Zarins،1981). ومن أبرز المواقع في منطقة عسير وادي تثليث، والمناطق الواقعة إلى الجنوب من ظهران الجنوب، حيث على عدد كبير من المواد المستيرية المصنوعة من الكوارتتزيت الحديدي، وتشبه إلى درجة كبيرة المواد التي عثر عليها في منطقة بئر حما بمنطقة نجران والتي تنتمي إلى الحضارة الموستيرية (Zarins،1981).

ومن أبرز المواد التي تميّز أدوات هذا العصر، الأنصال المصقولة والمثاقب والمناقش والمسننات ونوايا الأحجار القرصية الشكل وجميعها تتميز بدقة الصناعة عن العصر الآشولي (Alsharekh 1995،). أمَّا عن المواد المستخدمة في صناعة أدوات هذا العصر، فإن أكثرها شيوعاً في الاستخدام هي مادة الكوارتزيت الحديدي، تليها الأنديسيت الريوليت ثم الشيرت (عبد النعيم، ١٩٩٥م). ومن أبرز ما يميّز أدوات الحضارة الموستيرية في هذه المنطقة هو وجودها جنباً إلى جنب مع أدوات أخرى من حضارات سابقة. ولعل الشيء الذي يمكن أن نستنتجه من خلال تعدد أنواع المعثورات الحجرية وكثرتها، هو التطور الذي مرت به الصناعات الحجرية وفقا للظروف البيئية والحضارية ، وتنامي ملكات الإنسان العقلية والفنية من عصر لآخر.

٣- العصر الحجري القديم الأعلى[١٤] (Upper Palaeolithic):

بدأت هذه الفترة من(٤٠،٠٠٠ -١٠،٠٠٠ قبل الوقت الحاضر) وتعتبر من أبرز الفترات الحضارية في العصر الحجري القديم، نظراً للتقدم الذي أحرزه الإنسان في مجال الابتكارات التقنية والفنية، فضلاً عن تمكنه من تحسين مستوى معيشته من خلال اختراع العديد من الأدوات التي وفرة له الأمن الغذائي. وقد أصبحت الأدوات الحجرية تصنع من أنصال طويلة متوازية الأضلاع ورفيعة السمك، وتحولت تدريجياً إلى شفرات رفيعة ودقيقة الشحذ، وتصنع هذه النصال من نوى هرمية الشكل. ومن الأدوات التي امتازت بها هذه الفترة: المكاشط، السكاكين الرفيعة، النصال المظهّرة ذات الأشكال الهندسية، المناقيش، المثاقب الرفيعة، الخطاطيف، والإبر والرؤوس المدببة(الأمين، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

يعد هذا العصر في المملكة العربية السعودية مرحلة انتقالية من العصر الحجري القديم إلى العصر الحجري الحديث. ويرجح بعض الدارسين أن فترة العصر الحجري القديم الأعلى بدأت منذ حوالي ١٠٠٠٠ سنة، واستمرت حتى ما يقارب ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد (عبد النعيم، ١٩٩٥م). ويكاد يتفق الباحثون الذين أجروا المسح الأثري لمواقع العصور الحجرية في المملكة على خصوصية الجزيرة العربية بصفة عامة خلال هذه الفترة من فترات العصور الحجرية، حيث لم يُكشف بعد عن مواد أثرية تعكس الخصائص السابقة، ولم تسفر المسوحات الآثارية في المملكة عن تمييز أياً من الأدوات المكتشفة التي يمكن أن تصنف ضمن حضارة هذا العصر (Zarins، 1978; Gilmore،198l)، ولم يعثر إلى الآن على أي موقع يمكن أن تمثل أدواته هذا العصر بشكل واضح، على الرغم من العثور على بعض الصناعات الحجرية يمثلها عدد من الأنصال المختصرة التي تعد من الصفات المميزة لأدوات هذه الفترة بموقعين فقط في وادي تثليث، إلا أنها لا تكفى لإبراز ملامح هذا العصر، بشكل قطعي، خصوصاً أنها وجدت إلى جانب أدوات موستيرية(الأمين، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م؛ الزيلعي،١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م).

ومع ذلك فإن الغموض الذي يكتنف حضارة هذا العصر في المملكة العربية السعودية لم يمنع بعض الباحثين من إدراج بعض المواقع في المملكة إلى الفترة المتأخرة لعصر ما قبل التاريخ بشكل مبدئي وذلك ضمن حضارة العصر الحجري القديم الأعلى. ويفترض هؤلاء الباحثون أن الحلقة المفقودة (العصر الحجري القديم المتأخر) يمكن أن يحل مكانها التقليد الموستيري، عن هؤلاء الباحثين انظر(عبد النعيم، ١٩٩٥م).

من المعروف أن العصر الحجري القديم بمختلف مراحله، وتبعاً لتطور صناعاته الحجرية، قد أدى إلى إحداث عدد من النتائج الثقافية والاجتماعية لتطور الصناعات الحجرية في مجتمعاته، وقد استنتج أحد

(١٤) هناك من يسميه " العصر الحجري القديم المتأخر" ، وقد استخدمت كلمة" المتأخر" بدلاً من " الأعلى" للتمييز بينهما. انظر: عبد الله بن محمد الشارخ، المرجع السابق،١٩(*).

الباحثين ذلك، حيث يذكر أن نجاح الإنسان في تطويع بيئته واستغلال مواردها يعود إلى التراكم المعرفي لديه الذي نتج عن تعاقب الفصول وتنوع مظاهر الطبيعة، الأمر الذي اثر بطبيعة الحال على الحياة الحيوانية والنباتية في آن واحد. ومن خلال الملاحظة بدأ يكون لديه رصيد معرفي عن بعض الظواهر التي كان يشاهدها على طبائع الحيوانات والطيور والأسماك، خصوصاً فيما يتعلق بمواسم الهجرة والتزاوج والتوالد وارتياد المراعي وموارد المياه. وتوحي لنا بعض النقوش والرسوم التي تم اكتشافها باحتمال معرفة الإنسان بالحساب القمري، وربما وقت نضوج بعض الثمار، وموعد مجيء سمك السالمون(الصويان، ١٩٩١م).

وتدل مناظر الصيد التي تظهر الإنسان وهو يطارد فرائسه، ويصوب باتجاهها رماحه وسهامه ويصطادها، إضافة إلى استخدام الشراك أو الخداع في اصطياد الحيوانات، تدل كل هذه الوسائل وغيرها على أن الإنسان في العصر الحجري القديم قد قطع شوطاً كبيراً في مجال توفير غذائه، وقد ترتب على ذلك وجود نوع من الاستقرار النسبي وزيادة في عدد أفراد الجماعة. ومن البين أن هذه النجاحات التي حققها الإنسان في هذا المجال لم تكن بسبب التقدم التقني الذي أحرزه إنسان ذلك العصر في مجال الصناعات الحجرية فحسب، وإنما هناك أسباب أخرى لا تقل أهمية مثل تطور القدرات الفردية للإنسان نفسه وكذلك النظم الاجتماعية. وقد أتجه الإنسان بعد أن نجح في إشباع حاجاته الجسدية، ونعم بالاستقرار إلى البحث عن متطلبات النفس والروح. فقد مارس شعائر الدفن بطريقة تنم عن إحساسه العميق تجاه الموت والحياة الآخرة إلى غير ذلك من الإبداعات التي أنتجها إنسان ذلك العصر(الصويان، ١٩٩١م). ولاشك أن كل النجاحات التي حققها والتي أشرنا إليها أعلاه توجد نماذج منها في جهات مختلفة من منطقة عسير، الأمر الذي يدعونا إلى مزيد من البحث عن الأدوات الحجرية التي تنتمي إلى هذا العصر ومحاولة التعرف على ما ترتب عليها من تطور ثقافي واجتماعي.

ثانيا: العصر الحجري الحديث (Neolithic Age):

يمثل هذا العصر طفرة حضارية منتجة في العالم القديم، ويبدو أن هذه الطفرة أو الثورة الجديدة التي تعرف باسم ثورة العصر الحجري الحديث، أو مرحلة إنتاج القوت(الأمين، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م ؛ عصفور، د.ت.)، وقد أدت هذه الثورة إلى تحولات حضارية مهمة في مسيرة التاريخ البشري، تمثلت في ظهور عدد من التطورات التي لم تقتصر على صناعة الأدوات الحجرية التي تميزت بالدقة المتناهية والتنوع، وإنما صاحب ذلك عدد من الحرف التي أحدثت نقلة في حياة الإنسان الأول، الذي تحول من مستهلك للطعام إلى منتج له، عن طريق استئناس الحيوان، وتدجين النباتات، ومن ثم اكتشاف الزراعة والعمل بها، وقد ترتب على الاشتغال بها الاستقرار وزيادة التماسك الأسرى بين الأفراد، ثم الميل إلى زيادة الاستقرار السكنى(الأمين، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، وكان ذلك

عندما هجر الإنسان الكهوف والمغارات التي كان يسكنها وهبط إلى السهول اضطر إلى بناء ملاجئ نمن هنا بدأت الهندسة المعمارية(برامكي، ١٩٧٨م)، وأدى ذلك إلى وضوح الحاجة للتعاون بين الأفراد، ومن ثم الاتجاه نحو تكوين المساكن والمجتمعات القروية، ثم بداية التطور نحو المجتمعات المدنية، وحيث ظهرت القرى العديدة(صالح، ١٩٨١م).

ومن التطورات الحضارية التي أحدثت نقلة في حياة الإنسان أيضاً تحوله من مرحلة صيد الحيوانات إلى مرحلة التدجين والتربية، ثم ظهور حرفة الرعي، وترتب على ذلك كله أن انتقل الإنسان تدريجياً من حياة الصيد وجمع القوت، ومن كائن يعيش مستهلك لما تجود به بيئته إلى كائن منتج يتحكم في بيئته ويستغلها لما يرضي مطالبه وحاجاته المادية والنفسية. ومن التطورات الحضارية التي حدثت في هذا العصر كذلك تعدد الحرف وظهور الفنون بشكل تدريجي. لقد ظهرت إلى جانب الصيد وجمع الطعام وصناعة الأدوات الحجرية، حرفة تدجين الحيوان وتربيته ورعيه، وحرفة الزراعة وصناعة أدوات الزراعة المختلفة، وحرف أخرى مثل صناعة الأواني الفخارية وبعض الأواني الحجرية. وقد شكلت هذه التطورات ظهور المجتمعات المدنية، وبالتالي ظهور الحاجة إلى نوع من التنظيمات المدنية والسياسية والاقتصادية(صالح، ١٩٨١م).

هذا وقد قسَّم أحد الباحثين مؤخراً، العصر الحجري الحديث في الجزيرة العربية، إلى عصرين هما: العصر الحجري الحديث المبكِّر والمتأخر «الصحراوي»، مفرداً فترتين، أيضاً، في العصر الحجري الحديث» الصحراوي». وقد اعتمد في تقسيمه هذا على ما سماه بالرؤوس المعنَّقة المستدقة الريشة[١٥]، وفصل بين العصرين المبكِّر والمتأخر، على الرغم من أنه وصف الفترة المبكِّرة من العصر الحجري الحديث «الصحراوي»، برؤوس السهام المستدقة من الجهتين بما في ذلك الرؤوس المعنَّقة(Amirkhanov،1997).

أمَّا عن مظاهر حضارة هذا العصر في منطقة عسير، فقد تضاربت الاستنتاجات المتعلقة بالخصائص الأثرية فيها(المعمري، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، حيث أن فرق المسح الآثارى لم تغط كافة المنطقة، إلا أنها تمكنت من اكتشاف عدة مواقع تنتمي إلى حضارة العصر الحجري الحديث، ففي جبل السودة ووادي تثليث والمنحدرات الممتدة حتى غربي نجران تم الكشف عن عدة مواقع تنتمي إلى هذا العصر وهى عبارة عن مجموعة من الأدوات الحجرية المصنوعة من أحجار الصوان والشيرت الأسود والحجر الأخضر والريوليت(الخريطة رقم ٢)، ضمت المكاشط الطرفية والجانبية المشحوذة بإتقان، ولباب الأحجار ذات الشكل المخروطي، إضافة إلى أدوات أخرى تشبه الأزاميل المثقوبة أو الفؤوس(Zarins، 198l)، فضلاً عن الأنصال المصنوعة من السبج، والأنصال، والشفرات، والرقائق المشحوذة، والمكاشط الجانبية

(١٥) يفسّر أحد الباحثين معنى العُنق ويشير إلى أنه يُقصد به: مقبض أو(عَقب) التثبيت في حالة اقترانه بأكتاف واضحة المعالم في الرؤوس التي أُطلق عليها الرؤوس المعنَّقة، أمَّا الريشة فهي الجزء الباقي من الرأس الذي يلي العنق مباشرة، انظر: المعمري، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م) ٩ ؛ انظر كذلك: لوحة ٣:٣، ص١٢.

والطرفية، وأدوات ثنائية الوجه، ورؤوس الحراب النصلية، والرؤوس المجنحة والشوكية(الأمين، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، وبعض مخلفات التصنيع. وتنتشر ورش التصنيع على المسطحات الغربية من الوادي، وهى مطابقة للأدوات التي عثر عليها في الربع الخالي والتي تنتمي للعصر نفسه(Zarins، 198l)، لمزيد من الإيضاح انظر (اللوحة رقم ١، ٢).

وبما أن المنطقة الشرقية من عسير تتصل جغرافياً بصحراء الجزيرة العربية فإنه من المناسب أن نشير إلى إحدى الدراسات الحديثة(المعمري، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م) التي قدمت لنا إضافات في ما يتعلق بتقسيم العصر الحجري الحديث في صحراء الجزيرة العربية، حيث كان الترتيب الزمني النسبي الذي يعتمد على ما يعرف بطبقة الباتينا (Patina) [١٦] يتألف قبل هذه الإضافة من تسعة مستويات ؛ خمسة منها تنتمي إلى العصر الحجري الحديث، ومستوى يعود إلى ما بعد ذلك العصر. وقد أضافت هذه الدراسة(١٣٧) قطعة حجرية، كان من نتائجها تسجيل مستويين جديدين من مستويات طبقة الباتينا (Patina) أو " البلي" كما عبرت عنها الدراسة، وقد عَمِل أحدهما على توسيع نطاق العصر الحجري الحديث المبكِّر، وعَمِل الآخر على زحزحة بداية ظهور الرؤوس المعنَّقة المستدقَة الريشة، وقدمت معلومات عن الرؤوس المعنَّقة الثلاثية.

هذا وقد عثر في منطقة عسير على ثلاثة من الرؤوس المعنَّقة حسب تصنيف الباحث راشد المعمري (المعمري، ١٤٢٦م) أحدهما في منطقة ظهران الجنوب وقد عثر عليه في الموقع(٢١٧-٧٤)(Zarins، 1981 (راجع اللوحة رقم٣ الشكل رقم١)، وعثر على الثاني في الموقع(٢١١-٥٨ب) في " بلدة الحمة" بمنطقة بيشة(المعمري، ١٤٢٦هـ)، وعثر على الثالث في تثليث. وتجدر الإشارة إلى أن بعض الرؤوس الصحراوية التي عثر عليها في هذه المنطقة وفي منطقة حما القريبة منها تعد من النوع المستدق بشكل تام تقريباً، وتهذيبها من النوع المستوي المتوازي وشبه المتوازي والمتلاقي والطويل نسبياً(راجع اللوحة رقم ٣).

وفى مرتفعات عسير عثر على نماذج عدة من أدوات العصر الحجري الحديث. وتعد المنطقة الممتدة من مرتفعات السودة إلى منطقة ظهران الجنوب واحدة من أهم مستوطنات العصر الحجري الحديث في المملكة العربية السعودية، وتتميز بغزارة الأدوات التي تنتمي إلى هذه الحقبة، حيث عثر في هذه المنطقة على ما يقرب من(١٨) موقعاً تنتشر في المضايق وعند سفوح الجبال ابتداءً من قمة السودة(الموقع٢١٧-١٣٥/ ١٣٦) وحتى سلسلة المرتفعات المنخفظة إلى الغرب من نجران، ومن أبرز هذه المواقع الموقع(٢١٧-٧٣/ ٧٤/ ٧٧) والجدير بالملاحظة إن هذه الأدوات تتطابق مع تلك التي وجدت في وادي تثليث وحول آبار حما بمنطقة نجران، انظر(اللوحة

(١٦) لقد رمزت هذه الدراسة لمصطلح (Patina) أو طبقة التقادم، أوغشاء العتق، أو الكمخة، بمصطلح جديد أطلقت عليه الدراسة " البلي" أنظر: المعمري ،١٤٢٢هـ/ ٤٢(١).

رقم٤)، ويبرز من بينها رؤوس السهام المصنوعة من الصوان، والأنصال، والمكاشط، والأزاميل((Zarins، 1981.

ويذكر المعمري بأن ما يخص منطقتي آبار حما وتثليث فإنهما قريبتان إلى المنطقة الصحراوية أكثر من قربهما إلى المرتفعات، ويشير إلى ظواهر تستحق الذكر في ما يتعلق ببعض الرؤوس الصحراوية التي وجدت في هاتين المنطقتين، وهي أن بعضها تُعد من النوع المستدق بشكل تام تقريباً، وإن التهذيب فيها من النوع المستوي المتوازي وشبه المتوازي والمتلاقي أيضاً والطويل نسبياً (المعمري، ١٤٢٦هـ)، راجع أيضاً(اللوحة رقم٥).

و يذهب أحد الباحثين إلى القول بأن أسلوب تشكيل أدوات العصر الحجري في منطقة عسير يمثل تنوعاً آخر من تقنيات تلك الفترة في المملكة العربية السعودية، ويشير إلى أن المواقع الداخلية من هذه المنطقة تفتقد إلى وجود الفخار كغيرها، وهذا بخلاف المواقع المكتشفة على ساحل البحر الأحمر والتي تمثل ركامات من الصدف والمحار. ويشير الباحث إلى عدم تمكن الباحثين من تحديد العلاقة التاريخية أو الحضارية بين مواقع أكوام الصدف ومواقع العصر الحجري الحديث في منطقة عسير(الأمين، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

في حقيقة الأمر، تبرز لنا مظاهر العصر الحجري الحديث في منطقة عسير من خلال وجود بعض المنشآت العمرانية المتمثلة في الدوائر الحجرية، والتي تعود إلى الحقبة الزمنية نفسها التي تنتمي إليها الأدوات الحجرية السابقة، (Zarins،1981) . ولقد عثر على هذه المنشآت في موقعين، الأول:على قمة المرتفعات المطلة على جبال تهامة، والثاني: في قرية العسران [١٧] التي عثر فيها على ما يزيد على ٣٠ منشأة حجرية دائرية الشكل تختلف في تخطيطها من دائرة إلى أخرى(Zarins،1981). ففي الوقت الذي تعكس فيه هذه المنشآت تخطيطاً معقداً يشبه إلى حد بعيد طريقة البناء في شمال المملكة الجزيرة العربية، ويظهر بعضها الآخر بأسلوب بسيط من الإنشاء خالٍ من التعقيد (Zarins،1981) . ويرجح أحد الباحثين أن هذه المنشآت تمثل قرى العصر الحجري الحديث، وأنها ربما كانت مسقوفة من أغصان وجذوع الأشجار(الزيلعي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م). ولعل أبرز ما يميز موقع العسران هو وجود جدار متقن من جلاميد الجرانيت، والذي يعتقد أنه كان يقسم الموقع إلى جزأين (Zarins،1981) وللمزيد من التفاصيل عن هذا الموقع راجع اللوحة رقم٦).

على أي حال، تجدر الإشارة إلى أن هذه المنشآت ليست الوحيدة في منطقة عسير، بل تنتشر المنشآت الحجرية بصورة واسعة في معظم المنطقة، وقد تمكن فريق العمل المكلف بحصر وتوثيق الآثار في منطقة عسير من الكشف عن العديد من هذه المنشآت في مختلف محافظات المنطقة(عن نتائج عمل هذا الفريق

(١٧) إحدى قرى بنى بشر التابعة لمحافظة سراة عبيدة ، وتقع على الطريق العام الذي يربط بين خميس مشيط ونجران.

راجع: الخثعمي، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، وهى تتشابه مع تلك التي عثر عليها في بقية مناطق المملكة. والأرجح أن ظهور هذه المنشآت كان خلال الألف الثالث قبل الميلاد، وربما أنها كانت منشآت ثابتة ارتبطت ببعض التجمعات السكانية شبه المستقرة. وهناك عدد كبير من هذه المنشآت المختلفة في أحجامها وطرق بنائها، ولا يعرف على وجه التحديد الغرض الرئيس من تشييد هذه المنشآت الحجرية، والأرجح أن بعضها استخدم كمساكن وبعضها الآخر لأغراض أخرى كالمقابر (Zarins،1980). ولعل أبرز هذه المنشآت، هي: الدوائر الحجرية والتي تختلف في أحجامها وطرق تشييدها (اللوحة رقم ٧)، وربما استخدم البعض منها كزرائب للحيوانات أو معسكرات لتخييم البادية، وربما يمثل بعضها الآخر قرى لجماعات مستقرة. ومنها أيضاً الأحواض المستطيلة، وقد عثر عليها في وادي تثليث (اللوحة رقم ٨)، وهناك منشآت على شكل حظائر تكثر في بيشة وشرق عسير. ومن هذه المنشآت أيضاً المقابر الركامية؛ وهى نوع من أنواع المدافن القديمة وتوجد في معظم مناطق عسير، وربما أنها تعود لفترة لاحقة. وتوجد عادة فوق جبال بارزة أو مرتفعات ظاهرة، وتكثر بصفة خاصة في مرتفعات عسير ووادي تثليث وفى بيشة وخميس مشيط وأحد رفيدة وسراة عبيدة وظهران الجنوب والنماص وبلقرن. وتشير معثورات هذه المواقع من الفخار إلى أنها قد تعود للألف الأولى ق.م، ومن الملاحظ أن المقابر الركامية توجد بأحجام مختلفة.

هذا وقد قام فريق المسح الآثارى التابع لوكالة الآثار في عام ١٩٨٠م بأجراء حفرية لنوعين من المقابر الركامية بوادي تثليث. وقد أسفر ذلك عن اكتشاف كميات منبوشة من العظام، مدية برونزية، وجزء من ورقة نبات متحجرة، وثلاثة مسامير برشام وذلك في المقبرة الأولى. وبينما عثر في المقبرة الثانية على ثلاث جماجم آدمية، غير أنه لم يعثر على أي أدوات مصنعة. وهناك مقابر ركامية أخرى عثر عليها في تثليث مبنية فوق حلقات دائرية للأحجار تضم غرفاً مركزية لمدافن مبنية من ألواح حجرية كبيرة محاطة بالدبش المتراكم، أو بسور حلقي(Zarins،1980).

وهناك نوع آخر من هذه المنشآت، وهي المنشآت الحجرية المذيلة والتي ترتبط عادة بالمقابر الركامية، مما يوحى بأنها مرتبطة ببعض عادات الدفن الجنائزية، وربما ببعض الطقوس الدينية. ولعل أكثر المنشآت الحجرية شيوعاً في منطقة عسير هي مقابر التلال، حيث ترتفع عن الأرض بحوالى المتر وهى مشيدة من أحجار غير مشذبة والتي تكون مكدسة حيناً أو مصفوفة على شكل مداميك حيناً آخر.

وعثر في مرتفعات عسير، على عدد من المواقع التي تنتمي إلى حضارة العصر الحجري الحديث، وتضم هذه المواقع مواد أثرية، وتشير إحدى الدراسات الحديثة إلى أن هذه المواد ربما تعود إلى حركات استيطان البادية، حيث عثر في هذه المواقع على توزيعات كبيرة من الفخار الممزوج بالحجر

الصابوني، وفخار أسود اللون ممزوج بحبيبات الرمل، ونوع آخر بني اللون ممزوج بالرمل ومطلي بطبقة ذات بطانة حمراء. على أن أهم أنواع الفخار التي عثر عليها في المواقع السابقة هي الأنواع ذات القواعد التي تشبه شكل السلة، ولها مقابض عمودية على شكل الأذن، أو مقابض طرفية بارزة .(Zarins،1981)وتجدر الإشارة إلى أنه تم العثور على الأنواع الأخيرة في شمال منطقة عسير، وعثر عليها تحديداً في منطقتي بيشة ورنية، خلال المسح الأثري الذي أجري عام ١٩٧٩م (Zarins،1980). وفي أعلى وادي ترج بمنطقة النماص عثر كذلك على مواد تشتمل على فخار بني اللون مخلوط بحبات الرمل الدقيقة، ورقائق من حجر الشيرت. وأرج البعض تاريخ مجموعات الفخار السابقة، إلى الألف الأول قبل وبعد الميلاد(Zarins،1981).

ويمكن أن يضاف إلى كل ما سبق، فن الرسوم الصخرية، إذ أن هناك من يعتقد البعض أنه لا يمكن الحديث عن العصور الحجرية في المملكة العربية السعودية بوجه عام ومنطقة البحث هذه بصفة خاصة إلا بالتطرق إلى الفنون الصخرية الأكثر بروزاً في الآثار من حيث تنوعها وثرائها، حيث لا تخلو منطقة من مناطق البلاد من الفنون الصخرية، التي تتوافر في بعض المناطق بصورة ملفتة، تجعل منها سمة من سمات التاريخ الحضاري القديم في المنطقة(الأمين، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، وهي على كثرتها، وتنوع موضوعاتها، لم تنل الحظ الوافر من الدراسة والتحليل[١٨]، على الرغم من المجهودات المقدرة، التي بذلت مؤخراً في هذا الشأن.

ويتبين لنا مما سبق أن الفنون الصخرية تمثل أهم مظاهر حضارات عصور ما قبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية. وكما أشرنا سابقاً، فلربما تقدم لنا دراسة هذه الرسوم انطباعاً عن أساليب الحياة الاقتصادية، والأحوال الاجتماعية والعادات والتقاليد للإنسان في عصور ما قبل التاريخ. وتنتشر الرسوم الصخرية في منطقة عسير بشكل لافت وخاصة في منطقة تثليث وبيشة وظهران الجنوب وبلقرن ومنطقة أبها وسراة عبيدة[١٩]، لكن لا يوجد تصنيف لفن الرسوم الصخرية في المملكة العربية السعودية لعصور ما قبل التاريخ، وإن كان بعض الباحثين قد حاولوا وضع تسلسل زمني لهذا الفن من أمثال: أناتي (Anati،1968-1972)، خان (Khan ،1993) ، وعبد النعيم، ١٩٩٥م).

---

(١٨) لقد أدرك كثير من المستكشفين، منذ أوائل القرن الميلادي الماضي أهمية الفنون الصخرية في الجزيرة العربية، وعدّوها مصدراً مهماً من مصادر التاريخ والمعرفة ببعض جوانب حياة السكان والبيئات، التي عاشوا فيها منذ قديم الزمان، ولكن لم تكن متوافرة لهؤلاء المستكشفين، الوسائل، التي يؤرخون بها هذه الفنون، ولا المنهجية المطلوبة لتصنيفها وتحليل مضامينها، وقد أعقب ذلك وصول البعثات العلمية الأجنبية، في العقود الأولى من القرن الماضي، يأتي في مقدمتها بعثة فيلبي وريكمانز وليبنز، التي وثقت عدداً كبيراً من مواقع الفنون الصخرية، في مناطق متفرقة من المملكة العربية السعودية، وهي المادة التي اعتمد عليها " أناتي" في دراسته المفصلة، عن الفنون الصخرية في الجزيرة العربية. وقد وضع " أناتي" في هذه الدراسة الأسس المنهجية في هذا الحقل من الدراسات الآثارية في الجزيرة العربية ولا تزال أراؤه متداولة بين الباحثين.

(١٩) لمزيد من المعلومات عن مواقع الرسوم الصخرية في منطقة عسير راجع: الخثعمي،١٤٢٩/ ٢٠٠٨م، راجع تحديداً مادة الرسوم الصخرية في كل جزء).

الخاتـمة

لقـد أبـرزت المعلومات المتوافرة عـن ثقافة العصور الحجرية في منطقة عسير، عدداً من النقاط التي تشير إلى أهمية الاكتشافات الأثرية الحديثة، التي وجدت في عدد من المواقع والمستوطنات. وتشير النتائج الأولية لدراسة هذه المكتشفات، إلى بروز عدد من القضايا العلمية التي تستحق المزيد من البحث والدراسة. وتأسيساً على ما قمنا به من الوصف والمناقشة في هذه الدراسة، فإننا نستطيع أن نلمح إلى بعض الملحوظات ومنها:

١ - إن فرق البحث الميداني المتخصصة للكشف عن مواقع عصور ما قبل التاريخ في منطقة عسير، ودراسة ما عُثِرَ عليه فيها من أدوات بمنهجية علمية حديثة، قد تم في فترة متأخرة، علاوة على محدودية هذه الدراسات، وعدم تحقيقها للأهداف المرجوة.

٢ - إن المسوحات الأثرية لم تُغْطِ كافة المنطقة بل لقد شملت مواقع محدودة، تم في بعضها عمل مجسات اختبارية بسيطة، فضلاً عن أن الدراسات التي أعقبت هذه المسوحات قد اعتمدت بالدرجة الأولى على الملحوظات الميدانية. الأمر الذي يصعب معه إعطاء تصور واضح عن حضارة العصور الحجرية في المنطقة بشكل خاص، وفي المملكة العربية السعودية بشكل عام.

٣- ومن الإشكاليات العلمية التي واجهت الدارسين للمكتشفات في المواقع الأثرية في هذه المنطقة العثور على معظم المواد فوق سطح الأرض والتي تمثل في الغالب أدوات حجرية أو منشآت متصلة بها، وتخلو- في كثير من الأحيان- من الظواهر الدالة على النشاط اليومي للجماعات البشرية التي استوطنت هذه المواقع، مثل مواقد النار ونفايات الطبخ أو نفايات تصنيع المواد المختلفة. وهذا يحد من قدرتنا على تصور نمط الاقتصاد المعيشي، الذي كان سائداً لدى جماعات الصيادين، ولا يساعد على تقدير أعداد الجماعات البشرية التي خلفت لنا هذه الأدوات.

٤ - تشير الدراسة إلى توافق المعطيات الأثرية في منطقة عسير مع غيرها من المواقع الأثرية في المملكة العربية السعودية من جهة، ومع ما هو معروف في إفريقيا من جهة أخرى، والتي عثر فيها على عدد من الأدلة تدل على مسرحاً لأقدم السلالات البشرية في العالم.

٥ - توضح الدراسة أهمية دراسة الرسوم الصخرية في المنطقة على اعتبار أنها من نتاج عمل الجماعات البشرية التي سكنت هذه المنطقة، ومن ثم فهي تعبر عن أذواقهم وهيئاتهم وما كان يشغل تفكيرهم، ومن الممكن أن تساعد الرسوم الصخرية على معرفة بعض التفاصيل الدقيقة للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والدينية للجماعات التي استوطنت المنطقة.

٦ - وتأسيساً على ما سبق فإن الدراسة التي بين أيدينا توصي بإجراء المزيد من المسوحات الأثرية، والقيام بالتنقيبات المتخصصة في المواقع المكتشفة لمعرفة مسيرة التطور الحضاري وتفاصيله في منطقة عسير بشكل خاص وفي المملكة العربية السعودية بشكل عام، وخصوصاً في الفترات المتأخرة من العصور الحجرية،

والتي كان للتحولات المناخية والطبيعية أثرها البالغ على حياة الجماعات البشرية التي عاشت في تلك الفترة، وتتبع المراحل التي أفضت إلى ظهور عدد من التجارب للجماعات البشرية ساعدت في النهاية على ظهور نوع من الاستقرار الذي نجم عنه في النهاية بناء القرى والمستوطنات الثابتة.

قائمة المراجع

المراجع العربية

الأمين، يوسف مختار: «العصور الحجرية في المملكة العربية السعودية - دراسة تقويمية «، أدوماتو،(العدد الثامن، (جمادى الأولى ١٤٢٤هـ/ يوليو(تموز)٢٠٠٣م).

انجرهام، مايكل وآخرون: « التقرير المبدئي عن مسح المنطقة الشمالية الغربية (مع لمحة موجزة عن المنطقة الشمالية الغربية)»، أطلال، ع٥، (الرياض: الإدارة العامة للآثار والمتاحف، وزارة المعارف،١٤٠١هـ)٦٠-٦١.

برامكي، ديمتري: « الإنسان موجود في الشرق الأوسط من نصف مليون سنة-العالم العربي في العصر الحجري»، مجلة تاريخ العرب والعالم، السنة الأولى(العدد الأول) تشرين الثاني،(نوفمبر) ١٩٧٨م).

الجرو، أسمهان سعيد: التاريخ السياسي لجنوب شبه الجزيرة العربية- اليمن القديم، (أربد- الأردن: مؤسسة حمادة للخدمات والدراسات الجامعية، ١٩٩٦م)

الجمعية الجغرافية السعودية. دليل المواقع الجغرافية بالمملكة العربية السعودية. ط٢.(الرياض:مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م).

الخثعمي، مسفر سعد محمد: موسوعة الآثار والتراث والمعالم السياحية في منطقة عسير- دراسة توثيقية، ثمانية أجزاء، (جدة: مطابع السروات، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م).

دانيال غلين: «موجز تاريخ علم الآثار»، نقله إلى العربية سيد أحمد محمد علي، (الرياض: مؤسسة العبيكان للنشر والطباعة،٢٠٠٠م).

الزيلعي وآخرون، أحمد عمر: آثار منطقة عسير ، سلسلة أثار المملكة العربية السعودية.(الرياض: مطابع دار الهلال للأوفست ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م).

الشارخ، عبد الله بن محمد:» رؤية جديدة لتقسيم فترات العصور الحجرية بالمملكة العربية السعودية»، العصور، مجلد ١٣(الجزء الثاني) (يوليو٢٠٠٣م/ جمادى الأولى١٤٢٤هـ)

صالح، عبدالعزيز: الشرق الأدنى القديم: مصر والعراق. ط.(القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية،١٩٨١م).

الصويان، سعد بن عبد الله: ثقافة العصر الحجري القديم، العصور، المجلد السادس، الجزء الأول، (١٩٩١م) ٧-٣٤.

عبد العليم، مصطفى كمال: «لماذا التاريخ القديم». المنهل، المجلد ٤٧ ، (ع٤٤٦ ، س٥٢) (ذو القعدة والحجة ١٤٠٦هـ/ يوليو وأغسطس ١٩٨٦ م) ، ٢٠ - ٢٨.

عبد النعيم، محمد: «آثار ما قبل التاريخ و فجره في المملكة العربية السعودية». تعريب عبد الرحيم محمد خبير.(الرياض:مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م).

عبده، طلعت أحمد محمد: الجغرافيا التاريخية لشبه الجزيرة العربية في عصور ما قبل التاريخ(الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية ١٩٨٨م).

عصفور، محمد أبو المحاسن: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر. (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط٢د.ت).

المعمري ،عبد الرزاق راشد: «إضافات جديدة في تقسيم العصر الحجري الحديث في صحراء الجزيرة العربية»، أدماتو، (العدد الخامس)، ذو القعدة ١٤٢٢هـ- يناير(كانون الثاني)٢٠٠٢م)٢٣-٤٤.

المعمري، عبد الرزاق راشد: « النمط الأثري الصحراوي وعلاقته بمرتفعات جنوب الجزيرة العربية وبتهامة وعُمان» ، أدماتو، (العدد الثاني عشر)، جمادى الآخرة، ١٤٢٦هـ/ يوليو(تموز) ٢٠٠٥م).

الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب: صفة جزيرة العرب، تحقيق / محمد بن علي الأكوع الحوالي(صنعاء:مكتبة الإرشاد، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م).

المراجع الأجنبية

Amirkhanov،H.A., The Neolithic and Postneolithic of the Hadramaut and Mahra، Moscow،1997،242.

Anati، E. Rock-Art in Central Arabia: Expedition Philby Rickman's-Lipens en Arabia. 4 vol5. lovain la neue. Inst. Orientaliste،1968- 1972.

Anati, E. Rock art in central Arabia: Vol، 1968، 12-160.

Besancon، J.L. Copland .F. Hours، "The Paleolithic sequence in Quaternary Formations of the Orontes River Valley، Northern Syria"، BIA، vol:15، 1978، 149- 170.

Gilmore،M.، et.al." Preliminary report on the northwestern and northern Region Survey 1981(1401)"، Atlal،6،1982،9-22.

Haviland،W.A.، Human Evoluation and Prehistory،4th E،(1997)168.

Khan، M. Prehistoric Rock Art of Northern Saudi Arabia. Riyadh: Department of Antiquities and Museums، 1993.

Leakey، R. E.، and Roger، Lewin، Origins، McDonal and Jane's Publishers Ltd.(London،1979) 99;

Overstreet، W. "Contributions to the Prehistory of Saudi Arabia"، 1. FRP1973.

Overstreet، W."B. Contributions to the Anthropology of Saudi Arabia". FRP، 1971، 25-38.

Parr،P.J.،et.al.،"Preliminary report on the second phase of the north province survey 1397/197 9"Atlal،2،1978.29-50.

Sordinas، A.I. Contributions to the Archaeology of Saudi Arabia. The Zimmerman Collection form the Northern Fringe of the Rub'al-Khali III، FRP، 1978.

Zarins، J.et. al.، " Preliminary Report of Southwestern Province Survey". Atlal، Vol:4،1980.

Zarins، J.et.al. "a. The Second Preliminary Report on the Southwestern Province" Atlal، vol.5 (1401 A.H- 1981 A.D.).

خريطة رقم (١). موقع منطقة عسير بالنسبة لمناطق المملكة العربية السعودية.
المصدر: وزارة الاقتصاد والتخطيط، مصلحة الإحصاءات العامة، النتائج الأولية للتعداد العام للسكان والمساكن١٤٢٥هـ(٢٠٠٤).

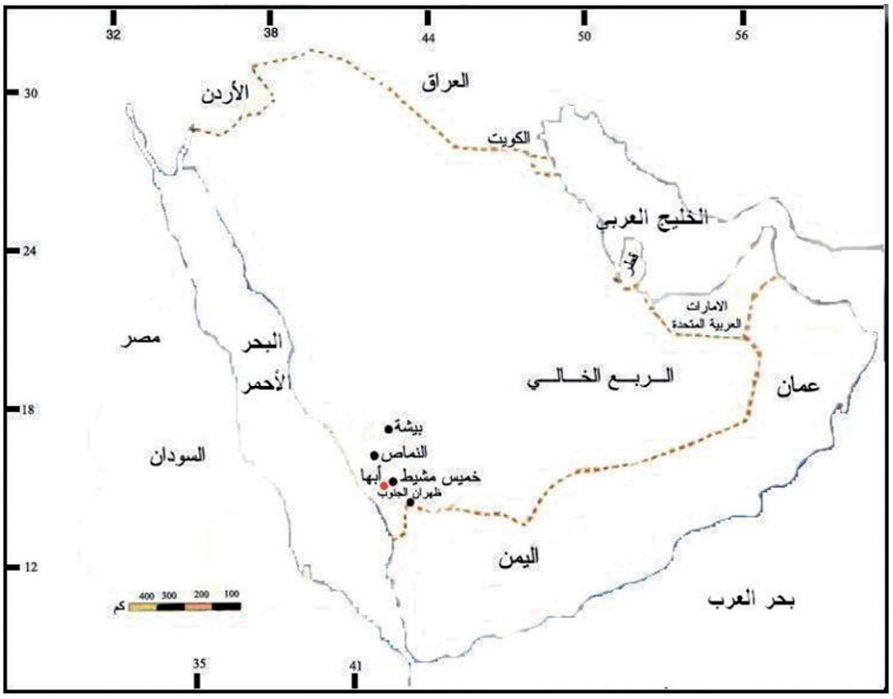

الخريطة رقم (٢). المواقع التي تنتمي إلي حضارة العصر الحجري الحديث في عسير.

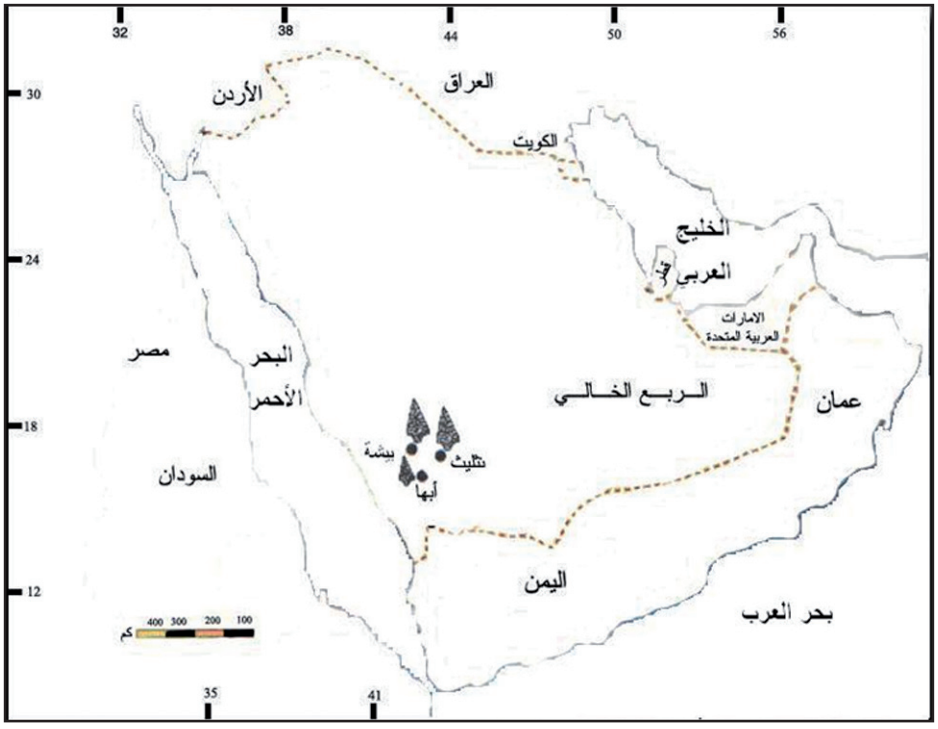

الخريطة رقم(٣). توضح لنا مواقع انتشار الرؤوس المعنَّقة في منطقة عسير.

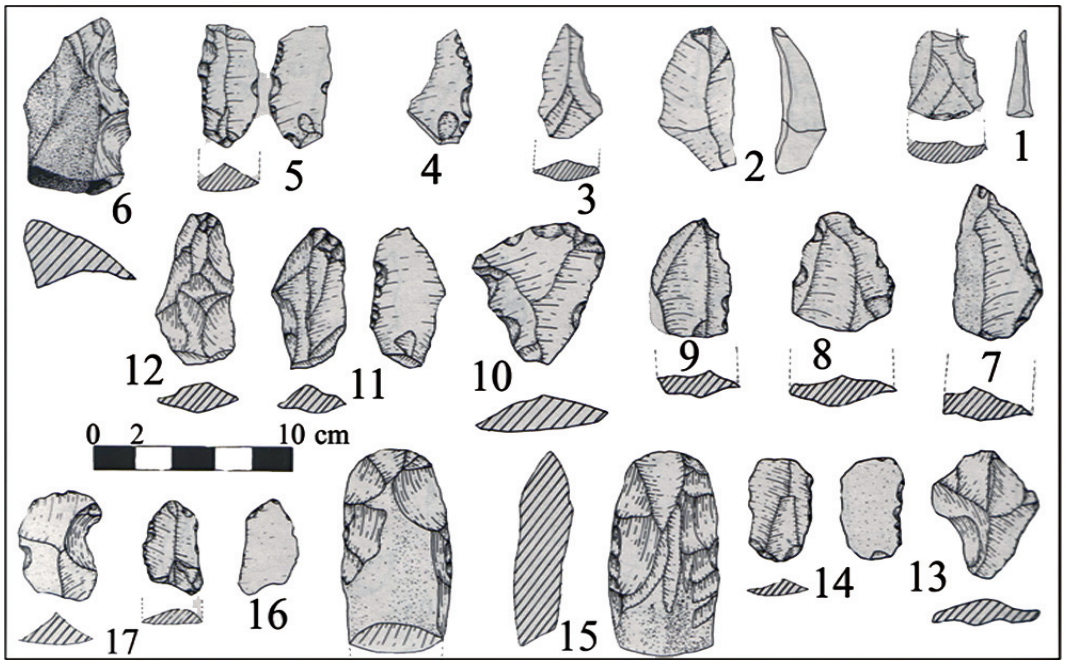

اللوحة رقم (١) مجموعة من الأدوات الحجرية من العصرين الموستيري والحجري الحديث.
نقلاً عن (Zarins، et.al.op.cit، 1981،pl.16c)

١- رقيقة / منقاش
٢- كاشطة طرفية
٣- نصل/ مثقاب
٤-رقيقة مصقولة
٥- نصل مثقول
٦- مفرمة
٧-٩- رقائق ليفالويز
١٠- مفرمة
١١- نصل مثقول
١٢- نصل له قمة تشبه عرف الديك
١٣- رقيقة
١٤-نصل من السبج
١٥- معول
١٦- نصل من السبج
١٧- رقيقة مسننة

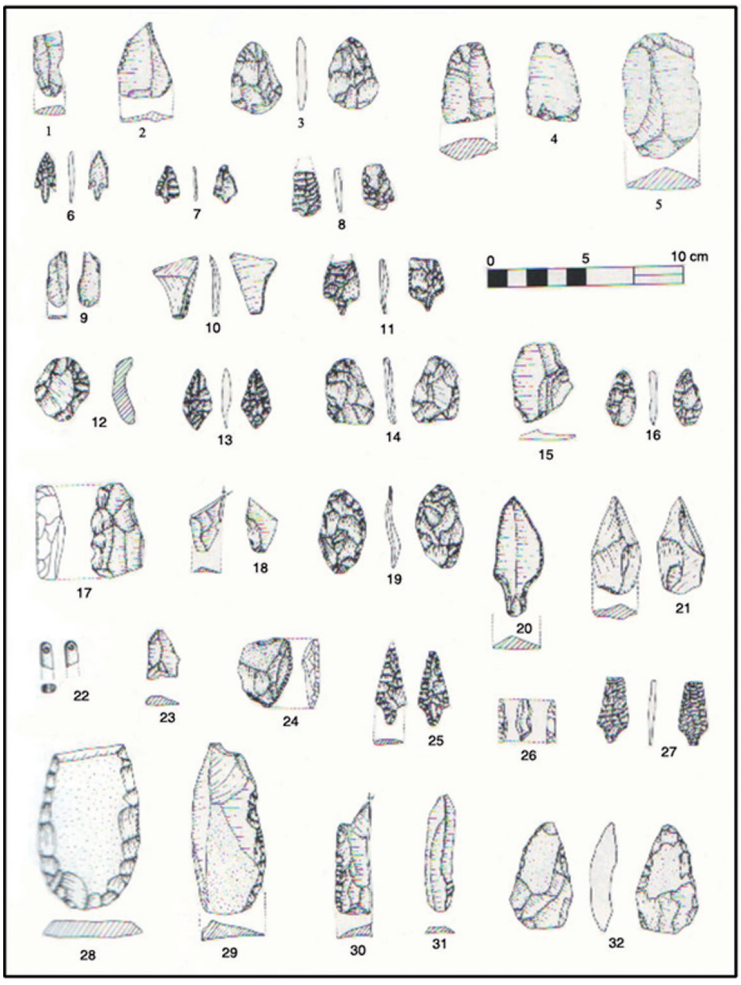

اللوحة رقم (٢) أدوات حجرية متنوعة من العصر الحجري الحديث. نقلاً عن: (Zarins، et.al.op.cit، 1981،pl.19)

١- نصل مطروق
٢- رقيقة مصقولة من السبج
٣- قطعة ثنائية الوجه
٤- نصل مصقول
٥- نصل
٦- طرف مدبب ونصل
٧- طرف مدبب ونصل الوجه
٨- قطعة ثنائية الوجه
٩- نصل مصقول من المركز
١٠- طرف مدبب ذو أنصال متعارضة
١١- طرف مدبب
١٢- كاشطة دائرية
١٣- طرف مدبب
١٤- طرف مدبب
١٥- رقيقة مصقولة
١٦- كسرة ثنائية الوجه
١٧- سكين
١٨- منقاش
١٩- قطعة ثنائية الوجه بيضاوية الشكل
٢٠- طرف مدبب و مسنن
٢١- مثقاب
٢٢- مثقاب/ إبرة مصقولة من الكوارتزيت
٢٣- كسرة من نصل
٢٤- كاشطة جانبية
٢٥- طرف مدبب
٢٦- كسرة من مثقاب
٢٧- طرف مدبب
٢٨- كاشطة مسطحة من حجر الصوان
٢٩- كاشطة/ نصل
٣٠- مثقاب
٣١- نصل
٣٢- كسرة من قطعة ثنائية الوجه

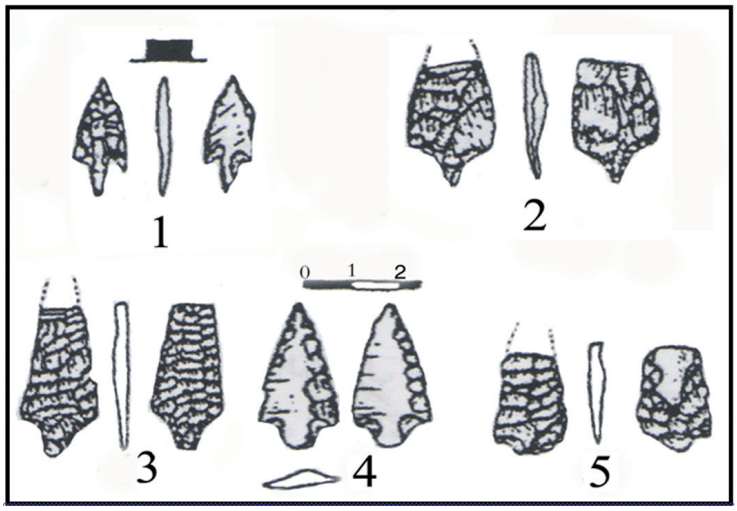

اللوحة رقم (٣) مجموعة من الرؤس المعنّقة ذات النمط الصحراوي والمنتشرة في منطقة عسير.

(نقلاً عن (Zarins، et.al.op.cit، 1980; 1981) ; المعمري، ١٤٢٦هـ، ص ٢٠).

١- الشكل رقم(١) يمثل ثلاث من الرؤوس المعنّقة وجدت في منطقة ظهران الجنوب.

٢- الشكل رقم (٢، ٣) عبارة عن رؤوس منتمية إلي النمط الصحراوي من تثليث.

الشكل رقم (٤) رؤوس معنّقة من الحمضة جنوب تثليث.

٣- الشكل رقم(٥) رأسين معنقين من بلدة الحمة ببيشة.

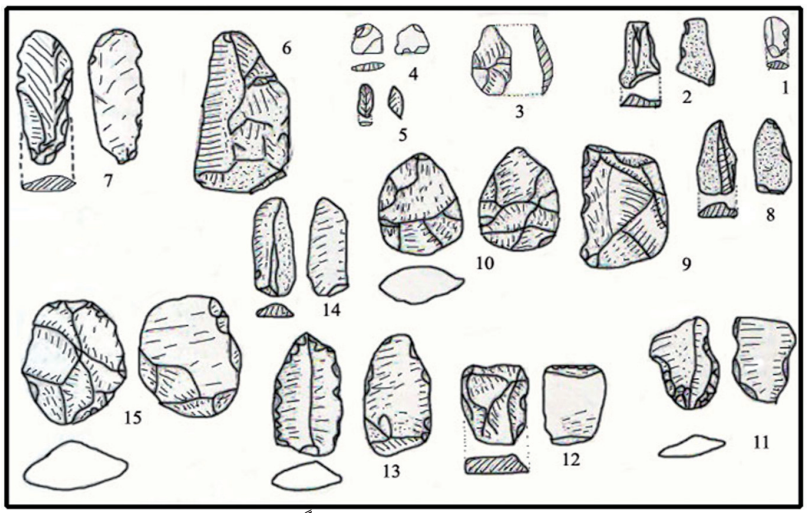

اللوحة رقم (٤) أدوات حجرية من العصر المستيري. نقلاً عن: (Zarins، et.al. 1981، p1.17،b)

الأشكال١،٧،٨،١٣،١٤– عبارة عن نصل

الأشكال٢ , ١١،١٢– رقيقة مصقولة

الشكل ٣– عبارة عن رقيقة

الشكل٤– كسرة حجرية ثنائية الوجه

الشكل ٥– نصل من السبج

الشكلين٦،٩ يمثلان مفرمة

الشكل١٠– قطعة ثنائية الوجه

الشكل١٥– كسرة من نواه حجرية

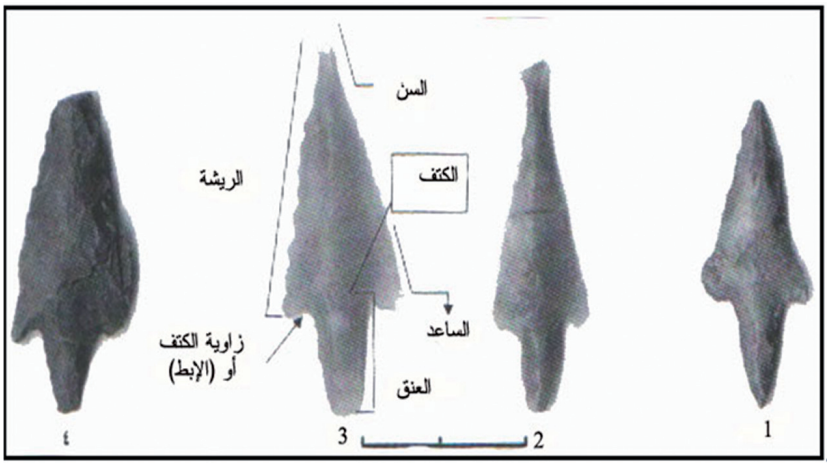

اللوحة رقم (٥) نماذج من الرؤوس الصحراوية المعنقة المنتمية إلي النمط الصحراوي، (نقلاً عن: المعمري، ١٤٢٦هـ، ص١٢).

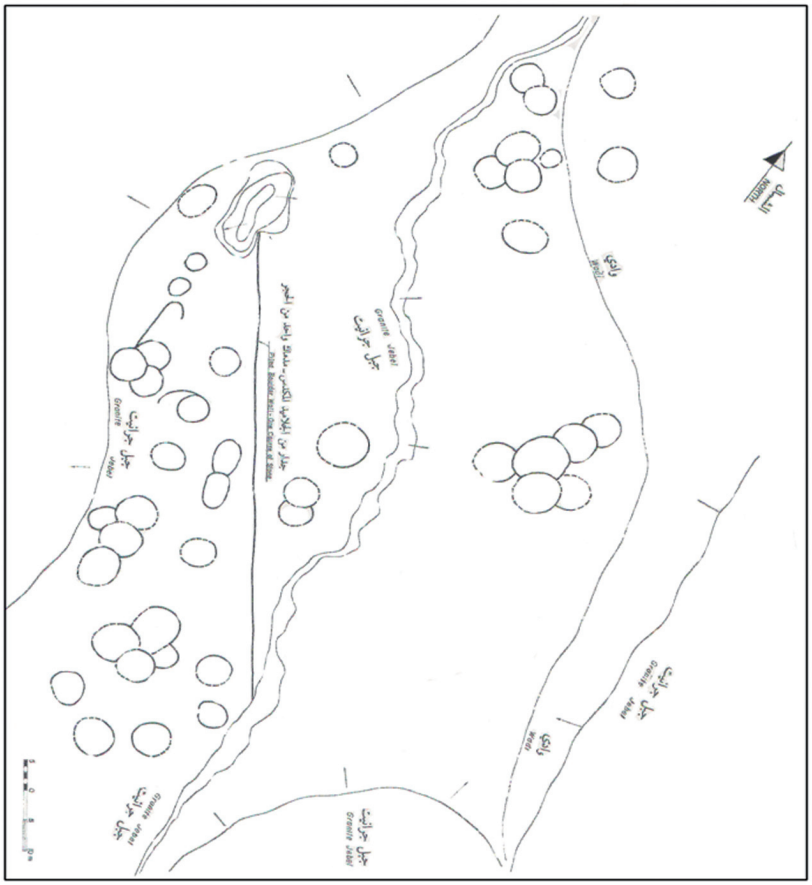

اللوحة رقم (٦) مخطط لموقع من العصر الحديث- منطقة العسران محافظة سراة عبيده.) نقلاً عن: (Zarins، et.al. 1981، p1.6).

اللوحة رقم (٧) مجموعة من الدوائر الحجرية - منطقة تثليث
(نقلاً عن: الخثعمي، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م ،ج٨، ص٤٠).

اللوحة رقم(٨) أحواض مستطيلة الشكل شيدت بالألواح الحجرية المزدوجة منطقة تثليث
(نقلاً عن: الخثعمي، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م،ج٨، ص٤١).

Aseer's region in the stone ages

Musfer S. M. Al-Khthami

Associate Professor Department of social sciences, College of Arabic language, Social Sciences and Administration

King Khalid University

(Dates of receipt 15/1/1429H; date of publication 14/11/1429H)

Abstract. Archaeological studies and field surveys conducted by the researcher in different parts of Aseer's region resulted in the discovery of a number of archaeological sites that indicate the existence of periods of human settlement and activity of groups of people that followed each other in inhabiting this region. These groups contributed to a great extent in building the varied cultures of the Arabian peninsula throughout its different ancient ages.

Moreover, the current research will discuss the cultural sequence of the stone ages in Aseer's region in the light of the field studies conducted in the past decades in addition to the surveys undertaken by the researcher.